الحرب الخاطفة

« بلتسكريج : Blitzkrieg »

كان الرأي الغالب من سنة او اكثر قليلاً في كثير من الدوائر الحربية ان اسلحة المدافعين تملك بالمهاجمين فتكاً ذريعاً فيجب التزام الدفاع في الحرب. ولكن اصحاب هذا الرأي قد صمتوا الآن، والعالم واقف دهشاً امام نتائج « الحرب الخاطفة » كأنها شيء جديد في تاريخ الانسان

ليست فكرة « الحرب الخاطفة » بالجديدة . وقديماً وصف الترك احد سلاطينهم بايزيد الاول بالصاعقة « يلدرم » لسرعته في مهاجمة العدو واخذه مفاجأة . وانما الجديد هو الأسلوب الذي اتبع في استعمال المخترعات الميكانيكية الحديثة وتنظيمها في شن حرب خاطفة على العدو . وحل هذه المخترعات وليد محرك الاحتراق الداخلي فهو القلب النابض الدافع للطائرات والدبابات والسيارات المصفحة وغير المصفحة . ولكن القواعد الأساسية في حرب من هذا القبيل ما فتئت على ما كانت عليه في القدم: خطة مدبَّرة محكمة التدبير يختار اصحابها الأرض التي توافق اسلوبهم في القتال ولهم جيش يستطيع ان يضرب ضربة مدوّخة فيخترق كلّ نطاق من الحصون وخطوط الدفاع

و « الحرب الخاطفة » مزيج من عناصر اساسية لا بدّ منها . اولاً — التأهب الوافي الدقيق . وثانياً — معرفة الهدف الذي تتوخاه . وثالثاً — معرفة دقيقة لقوة العدو ونكل أكمة ووادٍ وطريق وجسر وجسر في الأرض التي تختار ميداناً للقتال . وعلاوة على ذلك يجب ان تعرف أساليب العدو في تموين جيشه بالزاد والماء وجميع المعدات التي لا غنى عنها في القتال حتى يتاح للمهاجم ان يقطع اسباب التموين عنه بضرب خطوط المواصلات اللازمة له . وهذه المعرفة تستخرج من دراسة المخترعات الكبيرة دراسة مدققة ، والرحلة في البلاد يقوم بها رجال يجيدون حلالها بين خبير القيادة ، والبحث الدقيق في موارد العدو ومصانعه . ولا يتم التأهب للحرب الخاطفة الا بعد ان تتوافر لدى القيادة العليا جميع هذه الحقائق والتفاصيل . لأنها التمهيد الذي لا بد منه لشل قدرة العدو على المقاومة المنظمة

وفي ذلك صنع مخترعات كبيرة بارزة يكبّ عليها ضباط أركان الحرب ، يبحثون كل ناحية من النواحي التي يمكن أن يستعد بها العدو في المقاومة . ثم تجري مناورات في بلاد الجيش الذي يذوي المحروم ، فتمثل فيها جميع أنواع العقبات الطبيعية والصناعية التي قد يلاقيها عند الجيش في هجومه . وهذه المناورات لا بدّ منها لتدريب فرق الدبابات وأسراب الطائرات وكتائب المدفعية وفصائل المشاة على تعاونها وحدة واحدة تحت القوى مشيئة الأجزاء وتنظيم كل فرد على قدر الطاقة في مكانه الذي يتطلب منه وحده . ويجب أن تجري في أرض شبيهة بالأرض التي ينتظر أن يقع فيها المحروم

وعلاوة على ذلك يجب أن يتعلم الجنود وانضباط الذين عليهم المعوّل لغة العدو الى حدّ ما على الأقل

وإذا كان القصد إعداد حملة على بلاد وراء البحار فيجب على رجال الحملة أن يتدربوا تدريباً دقيقاً على شحن السفن وإفراغها وتركيب الثقالات والنزول منها ويجب أن تشحن كل سفينة بحيث تكون وحدة كاملة من الجند والعتاد إذ لا فائدة من شحن سفن بالرجال وأخرى بالعتاد فتصل الرجال في سفن وقد تصاب سفن العتاد وهي في الطريق بما يحول دون وصولها فيغدو الرجال عزلاً. وما يصدق على الشاة يصدق على رجال الهابطات وغيرهم ممن ينقل بطائرات النقل. كل أولئك يجب أن ينظم تنظيماً دقيقاً لا يدع مجالاً للخطأ.

وبعد أن يتم التأهب الدقيق في جميع الوجوه، تنطلق «الحرب الخاطفة» من عقالها كالإعصار الجتاح فيحدق كل طريق مفضٍ الى بلاد العدو بالدبابات تتقدمها السيارات المصفحة. وتتبعها المشاة منقولة بالسيارات. وتحوّم فوقها وتسبقها قليلاً الفاذفات والمنقضّات [illegible] فتطهر مطارات العدو وعقد مواصلاته الحيوية ومصانعه بقنابل الفوت. فاذا دافعت صفوف العدو دون المركبات الثارية انقضت عليها من ارتفاع يسير هذه الطائرات فتقذف قنابلها وتطلق رشاشاتها ومدافعها الخفيفة على كل نقطة تشتد فيها الدفاع قليلاً

فاذا كانت شبكة الطرق التي تسلكها القوات الميكانيكية تجتاز نهراً فيجب ان تتقدم الطائرات المنقضة الى الهجوم على الحماة بقنابلها وفي الوقت نفسه او بعد ذلك بقليل تنقل طائرات النقل فتخرج منها جنود الهابطات فلا تكاد تصل الى الأرض حتى تتجه الى النقط الرئيسية كرؤوس الجسور او الدور التي تولد فيها الطاقة الكهربائية او الحجرة التي يسيطر منها العدو على سد من السدود فتحتلها. فاذا لقيت مقاومة عنيفة وجب عليها ان تمضي في الكفاح حتى تصل الدبابات. ويعين المهاجم في هذا الفصل اعضاء «الطابور الخامس» بالاستيلاء على المراكز النفوذية الرئيسية وبنشر الأخبار الكاذبة التي تفتّ في العضد وتذيع الفزع، واذاعة اوامر متناقضة، وتدمير خزانات الماء وطريق توزيعه ومصانع توليد الطاقة الكهربية واحتلال محطات الاذاعة ومكاتب سكك الحديد أو تدميرها

وما كان من مقتضيات الحرب الخاطفة ان يكون المهاجم عارفاً معرفة مفصلة أرض العدو في رسمه ان يوجه طائرات النقل وهي تنقل جنود الهابطات الى نقط معينة فتتولى هذه الجنود عند هبوطها الى الأرض مساعدة رجال «الطابور الخامس» بالاستيلاء على مواقع حيوية وتصحب ذلك اقذف تقليل على المدافع والمرى فيفر الناس الى الشوارع والطرق طالبين [illegible] الى مكان آمن وهناك يهم الطرق فيتعذر انجاد الصفوف المتقدمة من المدفعين وتموينها ويضطر المدافع الى تأجيل [illegible] الكتاري ولا بد من [illegible] لأنه يرى ان [illegible] يعرض نفسه من اللاجئين لأخطار جسيمة

فاذا انصرف العدو عن الشور الانساني الى الضرورات الحربية وفعلاً تسنف الجسور والأنفاق فان ذلك طبعاً يؤخر تقدم القوات الميكانيكية السريعة . ولكن يجب ان نذكر ان «الحرب الخاطفة» سائرة وفقاً لخطة معدة إعداداً محكماً في ميدان واسع والقوات زاحفة على طرق متعددة فتأخير فصيلة أو فرقة من فصائلها أو فرقها لا يؤخر الفصائل والفرق الأخرى السالكة طرقاً أخرى سواء كان ذلك التأخير بسبب مقاومة العدو او عقبات أخرى تعترض الزحف . ذلك بأن الزحف العام أشبه ما يكون بالمد المرتفع يصطدم بصخرة تعترض سبيله فتسيل المياه على الجانبين وتلتقي وراء الصخرة وتطغى في اندفاعها تاركة الصخرة كأنها جزيرة صغيرة وسط تيار صخاب . وقد تتاح الفرصة للانتفاع بالطائرة المستكشفة فانها دائمة التحليق فوق الصفوف الزاحفة فتكشف ان العدو صد الفصيلة في نقطة معيَّنة فتعود بالخبر الى مقر القيادة فتوجَّه الطائرات المقضة الى هذه النقط — وهي كالجزائر المنعزلة في خضم ثائر — فتنقض عليها محاولة كسر مقاومتها بهجومها العنيف . وتوجَّه كذلك فصائل المهندسين الى حيث تنسف جسراً ما لاصلاح ما دمَّر او لانشاء جسر من الاطواف لعبور النهر . وقد تستعمل زوارق من المطاط تنطوي عند ما لا يكون ثمة حاجة اليها فاذا بدت الحاجة اليها نفخت بأجهزة خاصة واستعملت لنقل فصائل الجنود واسلحتهم الخفيفة . وهذه الزوارق يسهل نقلها الى حيث يجب استعمالها إما بسيارات النقل واما بطائرات النقل

فالسرُّ في المرحلة الاولى من مراحل الحرب الخاطفة هو «المفاجأة» . فالمفاجأة تجرُّ في اثرها الاضطراب والتردُّد وتبعث الفوضى . ولذلك يجب ان تكون الدولة المهاجمة أملك لعنان الجوّ من الدولة المهاجَمة ولا تقدم قيادة عليا على حرب خاطفة إلاَّ اذا كانت واثقة بان سيادة الجوّ لها . فأقوى الاجسام يفقد كل حول وطول اذا اصيبت عقده العصبية فتضطرب الصلة بين الجهاز العصبي المركزي والاعضاء . والحرب الخاطفة غرضها ان تحدث هذا التأثير في الجسم السياسي

الى متى يستطيع جيش مهاجم ان يمضي في هجومه الخاطف هذا ؟ ان ذلك رهن قدرته على الفوز بما يلزم لرجاله وأجهزته من طعام ووقود وذخيرة . فالفصائل الميكانيكية التي تستطيع ان تقطع مائتي ميل في اليوم اذا لم تلق عقبات ما في طريقها ، تحمل عادةً من الزاد والوقود ما يكفي حاجة يومين . فالغالب انهُ اذا استطاعت فصيلة من هذا القبيل ان تخترق خطوط الدفاع الاولى فان تقدمها بعد ذلك يمضي متباطئاً لانهيار المقاومة وتفشي الاضطراب . ولما كان من قواعد هذا النوع من الهجوم معرفة ارض العدو معرفة دقيقة فمن المحتمل ان تتمكن قيادة هذه الفصيلة ان تستولي على الزاد والوقود المصادرة من المناطق التي تجتازها . فاذا كان ذلك متعذراً لسبب ما فعليها ان تتلقى من القيادة العليا على تسيير قوافل من السيارات في اثرها تحمل ما تحتاج اليه من زاد ووقود وذخيرة . وهذه الطريقة كذلك قد تحمل فالأغلب الفصيلة العدو التي رمى

العدوّ، رجالٌ لا يهمّهم التعب ودبابات وسيارات لا يوهنها السير

ولكن مصيبة من هذا القبيل قد تتعرض لهجوم طائرات تقلع من مطارات لم تدمَّر في مستهل القتال ولذلك يجب ان تتقدم هذه القصيلة أسرابٌ من الطائرات المطاردة لحماية الوحدات الميكانيكية المتقدمة والسيارات التي تليها تافلة المشاة من قاذفات العدو، ولتحمي القاذفات من مطارديه. ويصحب المطاردات في الجو سيارات على الأرض تقلّ المدافع المضادة للطائرات لتعاون المطاردات والمدافع على رد قاذفات العدو على أعقابها او اسقاط ما يتيسر اسقاطهُ منها. ثم لا بد من نصب المدافع المضادة للطائرات فوق الكباري والقوات والأنفاق التي فزعت من العدو خشيتها من قاذفاته

هذه صورة تبعث الهلع في النفوس، ولكن قلما اخترع الانسان سلاحاً ولم يخترع سلاحاً آخر يقي منهُ فسرُّ الدفاع ضدَّ نوع شيطاني من الحرب كالحرب الخاطفة هو أولاً النظام القائم على التدريب. فهو يمكن الناس من التماسك في الأوقات العصيبة ويضاف الى ذلك تنظيم الأعمال الحربية والأهبة تنظيماً يمنع الفوضى. فللمطارات يجب ان يوضع فيها كتل كبيرة من الأبرق المسلَّح حتى تعيق نزول طائرات الأعداء ودروجها في أرضها. ولكن يجب ان تكون قابلة للتنقيل حتى لا تعيق حركة الطائرات المدافعة. يجب ان يدرَّب رجال المطارات تدريباً عملياً، وايّاي على تنقيلها بنظام وسرعة. وكذلك يجب أن تنشأ في المطارات خنادق تغطيها ألواح ترفع وتخفض فترفع اذا لاح ان سرباً من طائرات العدو يحاول النزول في المطار وليس في أوسع ردهُ، فلا تدرج طائراتهُ على الأرض حتى تعترضها الخنادق فتسقط فيها العجلات المتقدمة وتتقلب الطائرات فتتحطم او تحترق. وجميع الطرق الرئيسية يجب كذلك ان تعيَّن لها فرق خاصة لحمايتها. والكباري يجب ان تتم ويعهد بحراستها الى من لا يتأخر ثانية في انفاذها متى لزم الأمر ومصانع تكرير المياه وتوليد الطاقة الكهربائية الاضاءة وتحريك الآلات ومباني التلفونات والتلغرافات الرئيسية ومحطات الاذاعة ومخارج البترول والمصانع — جميع هذه المنشآت يجب ان تصان بنظام دقيق من قبل الحرّاس الذين لا يتأخرون عن تدميرها

اما صفوف الجيش المتقدمة التي تتولى الدفاع عن الحدود فيجب ان يكون قوامها رجالاً مدرَّبين تدريباً جيداً ويجب ان يكونوا مجهزين بالمدافع المضادة للطائرات واخرى مضادة للدبابات وان يكون غرضهم من استعمال هذه المدافع بطاء سرعة الزحف من ناحية العدو. ووراء هذه الصفوف يجب ان تقوم كتلة من الجيوش المدرَّبة في منقطة يستطاع اتخاذها قاعدة لهجوم [illegible] على العدوّ ويجب ان يكون في اوسع توجيه هذه القوى او جزء منها توجيهاً سريعاً الى النقطة التي يبدو فيها ضعف العدو او التي يصلح فيها الهجوم عليه ويجب ان يكون هذا الجيش محمياً بمدافع مضادة للطائرات أخرى مضادة للدبابات، ويجب ان تكون طلائعهُ من الوحدات الميكانيكية التي استطيع ان [illegible] وسرعة في النقطة التي يراد الهجوم فيها. [illegible] وتدمير حدوده [illegible] والقوى التي [illegible] صفوف العدو

ومن العبث ان تسعى دولة الى بناء أسوار من الحجارة او الأبراج المسلحة او الصلب لتقي نفسها من حرب خاطفة . لأن الاعتماد على هذا النوع من التحصين يعني ان الدولة المدافعة تستطيع ان تجعل كل نقطة من نقط حدودها قوية بحيث تعجز العدو عن اختراقها . وهذا متعذر على حدود طويلة . وطريقة العدو هي امتحان الدفاع هنا وهناك حتى اذا بدت نقطة ضعيفة فيه وجه معظم جهده اليها ليخترقها وينشر وراءها فتضطر القوات المدافعة عن جانبيها الى الارتداد بغير ان تخرق حصونها وإلا فانها تعرض الأسر بحركة التفاف . ويجب ان يكون السلاح الجوي للدولة المهاجمة متأهباً لعمل سرعة اعمال الجيوش الزاحفة بسرعة ومصادمة قاذفاته وجمع الأخبار عن حركة فصائله وهذا العمل يجب ان ينسق تنسيقاً تاماً مع الجيش على الأرض او الأسطول في البحر . فالسلاح الجوي اذا قام بعمله منفصلاً عما تنوبه وتلتزمه قيادة الجيش او قيادة الأسطول عديم الجدوى لأنه يكون في هذه الحالة كبطارية من المدافع لا تؤيدها قوة من الجيش . ولكن عندما ينسق عمله مع الأسلحة الأخرى يصبح سلاحاً فعالاً ولا يستغنى عنه في الحرب الحديثة

ويجب ان يضاف الى كل هذا نظام واسع النطاق يشمل جميع وسائل المخابرات الحديثة والاتصالات الكهربائية لامداد وحدات الجيش والأهالي بأقرب العدو ويجب ان تنشأ هيئات محلية من الأهالين لاصطياد جنود المظليات عند نزولها الى الارض او قبل وصولها الى الارض

فأسلوب جنود المظليات غرضه إنزال جنود مسلحين وراء خطوط القتال للاستيلاء على مواقع يقضي الاستيلاء عليها الى نشر الاضطراب والفوضى داخل البلاد وهم ينزلون الى الأرض متفرقين في منطقة واسعة ويجب ان يلموا شعثهم ليعملوا معاً كما يجب عليهم ان يجمعوا ما قد يسقط من الطائرات المظليات كذلك من المدافع الرشاشة والذخيرة ، فخطرهم فرادى ليس كبيراً ولكن إذا إجتمعوا فصائل عظم خطرهم . فاليقظة الدائمة لازمة لاصطيادهم قبل إجتماعهم . ومن الهيئات الأهلية ما يجب أن يعهد اليه بتدمير طرق المواصلات كقطع الجسور والخنادق فيها لأن الغرض هو تأخير سرعة الزحف ميكانيكي . وهذا العمل أشبه ما يكون بالتجاء القرملة الخفض سرعة سيارة او قطار . فكل عمل من شأنه تأخير زحف الحملة الميكانيكية يهيىء لأسباب النصر ما يجب عليها . وعمله الأعمال حاجة الى تدريب . ويجب أن تكون وفقاً لخطة موضوعة وقسام دقيق

إن السر في نجاح الحرب الخاطفة كامن في قدرة الجيش المهاجم على استغلال الهجوم الأول الذي تولاه الفرق الميكانيكية . أي ان تسير كتلة الجيش في أثر الفرق الميكانيكية فتسحق أقدامها في المناطق التي مرت فيها وتردّ العدو عنها وتفتح الطريق لانضمام منتظم بين الطلائع والقواعد فيلتقي ويتزود بالمؤن والذخيرة والمعدات . وهذا استطاعت القوات المهاجمة ان تفيق من الضربة الخاطفة التي صدمتها ولا تستطيع القوات التي تولت ادارة الأخرى المدافعة ان تهاجم في الدفاع ما أتيح لها ان تكون مستعدة